مناطق أقصى الجنوب الجزائري في استراتيجية إعلام الثورة الجزائرية المكتوب
(نداء إلى التوارق في جريدة المجاهد عام 1958م أنموذجا)

أ.كديده محمد مبارك
المركز الجامعي تامنغست
m.mebarektram@yahoo.fr

ملخص البحث

يتحدث البحث عن اهتمام إعلام الثورة الجزائرية بمناطق أقصى الجنوب الجزائري في فترة حساسة من الثورة الجزائرية بدأت تبرز فيها مشاريع الاحتلال الفرنسي لفصل الصحراء أو بدأ في وضع اللبنات الأولى لذلك، ويبرز اهتمام الثورة الجزائرية بالإعلام كوسيلة من وسائل الحرب في معركة استرجاع السيادة، ويبرز أيضا كيف استغلت الثورة إعلامها المكتوب خاصة لبعث رسائلها إلى الشعب وتوعيته وفضح مخططات الاحتلال واخترت أن أسلط الضوء على منطقة هقار كأنموذج حيث وجهت رسالة إلى توارق هقار مهمة جدا في إطارها الزماني .

الكلمات المفتاحية : التوارق – الهقار – المجاهد – الثورة الجزائرية

******

مدخل:

إننا نحس اليوم، وبعد مرور زهاء خمسة عقود على استرجاع الجزائر سيادتها بضرورة التعمق أكثر في كتابة تاريخنا الوطني، الحافل بالكثير من الأحداث التي لم يسلط عليها الضوء، وبعضها يحتاج منا إلى قراءة متأنية في فحوى مواثيقها[1]، فإن حاولت بعض الأقلام جعل كل ما كان من تطورات محض صدفة، فإنه من واجبنا اليوم الرد حتى نؤكد المكانة التي تحتلها الثورة الجزائرية وسط الثورات، لتظل فخر الأجيال القادمة.

ويزداد الإحساس لدي عندما أتصفح بعض الكتب وأطلع على ما كتب عن واحدة من أهم مناطق الجزائر مثل منطقة الهقار، فأرى الكاتب يورد أخطاء في التسميات والتصنيف حتى وإن كان الأمر بنوايا حميدة، أو بأخطاء في الترجمة؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر حين تجد عبارة "عجار"عوض "آجر"، وحين ترد أسماء أُريد بها التدليل على مجموعة من القبائل فنجد أسماء جهات بدل ذلك، ومثال ذلك حين قال صاحب الكتاب ‹...أما آل رقيبة والطوارق وهقار وعجار...›[2] وقد كان الأصوب أن يذكر الطوارق ويضيف إليها عبارة في مناطق الهقار وآجر أو إضافة عبارة كِل (بكسر الكاف) أهقار...حتى لا نورد أخطاء في تاريخنا توجد صحيحة في المراجع الأجنبية خاصة الفرنسية منها، التي أخذت التسميات كما وجدتها بلهجات أهلها. فلهذا استهللت هذه الأسطر بالدعوة للانتباه إلى هذه المسائل وأخذها بعين الاعتبار وقراءة تاريخنا قراءة متأنية حتى لا تحسب هاته الهفوات علينا.

واخترت ورقة من أوراق تاريخ الثورة الجزائرية تدل على اهتمام إعلام الثورة التحريرية وخاصة المكتوبة منها بالتطورات الحاصلة في مناطق أقصى الجنوب الجزائري منطقة الهقار أنموذج، واخترت واحدة من أهم وسائل إعلام الثورة وهي جريدة (المجاهد) وتصفحتها واقتطفت من بين مقالاتها التاريخية مقالا اجتذبني حمل عنوان "**إلى أبناء الهقار في جنوب الصحراء**" في عددها الثلاثين الصادر بتاريخ 10أكتوبر1958[3] يبرز لنا حجم المعركة الإعلامية التي كانت تخوضها (المجاهد)، ونتعمق في فحواه تمعنا وتحليلا، وإخضاعه لمنهج دراسة التاريخ للوثائق والنصوص .

أولا-الاهتمام بالإعلام كسلاح من أسلحة الثورة الجزائرية:

لم يفت مفجري ثورة أول نوفمبر أهمية الإعلام كسلاح للدعاية والدعاية المضادة، وما يدل على أهميته هي الوثيقة الإعلامية والمرجعية الأولى للثورة بيان أول نوفمبر الذي كان موجها للجزائريين بالأساس، ثم للعالم بأسره للتعريف بالثوابت وأهداف الثورة ومختلف أبعادها[4]، وقد حرص هؤلاء القادة على أن يطلع العام والخاص على فحوى بيان أول نوفمبر من الليلة الموعودة حيث طلب محمد بوضياف[5] من الوفد الخارجي الناطق

باسم الثورة المكون من كل من خيضر[6] وبن بلة[7] وآيت أحمد[8] عبر الرسالة التي أرسلها إليهم، يطلب منهم الاتصال بإذاعة صوت العرب في القاهرة من أجل قراءة البيان في التاريخ المحدد، كما يخولهم لهم ثلاثتهم فقط التحدث باسم الثورة الجزائرية[9]، وازدادت حاجة الثورة لإعلام ينقل الأخبار؛ فبعد الانطلاقة أصابت حالة من الترقب المجاهدين الذين انتشروا عبر عدة مناطق، وسبب هذه الحالة هو عدم تمكنهم من الإطلاع على أخبار بعضهم البعض، إلا ما كان يستشفه هؤلاء من بعض وسائل إعلام الاحتلال كانت تشكل وسيلة للإطلاع على الأوضاع رغم التزييف[10]، وحتى المجاهدون لم يكونوا في البداية على إطلاع على أخبار بعضهم البعض إلا عبر إعلام المحتل الذي كان الوسيلة الوحيدة التي تطلع الجزائريين بما هو حاصل في بلادهم، حيث أسمع المقاتلون للعالم صوتهم، وأصبح الجزائريون يتلهفون للإطلاع على أخبارهم ومستجداتهم حتى ولو عبر إعلام العدو[11]، ولكن سرعان ما اقتنع الثوار بضرورة إقحام سلاح الإعلام في الثورة، يقول رضا مالك[12] في هذا الصدد : ‹...الإعلام والاتصال عنصران أساسيان في الثورة المسلحة الجزائرية، لأنه من غير الممكن أن نخوض معركة في الميدان بالبندقية والسلاح ونهمش العمل الإعلامي الذي يجسد عمل المجاهدين، ويعطيه كل الدلالات السياسية والاجتماعية والتاريخية...›[13].

ولهذا أنشأت جبهة التحرير الوطني عدة أركان إذاعية ناطقة باسمها في العديد من الدول العربية، تبث للرد على إذاعة صوت البلاد التي أنشأها الاحتلال ناطقة باسمه، هدفها التضليل والدعاية المضادة للثورة، واستغلت جبهة التحرير توسيع شبكة البث الإذاعي والتلفزي فأطلقت في البداية سبع محطات إذاعية ناطقة بالعربية سنة1956 من تونس والمغرب ومصر، وفي سنة 1958 أضيف لها سبع إذاعات أخرى اثنتان من ليبيا والأخرى في كل من سوريا والكويت والعراق والأردن والسعودية، وما بين سنتي 1961و1962 تم إنشاء إذاعة خاصة باللهجة الجزائرية من القاهرة[14].

وقبل أن تنشأ هذه الشبكة الإعلامية الداعمة انتهجت الثورة على المستوى الداخلي منهجا إعلاميا بسيطا، تمثل في نقل الأخبار مشافهة، وقد كان فعالا وسد الحاجة الماسة لإعلام ينقل الأخبار للشعب آنذاك، إذ ردت وسائل إعلام الاحتلال باحتقار على هذا الأسلوب الإعلامي ووصفته بنعوت تحط من قيمته كوصفه بـ: "راديو عرب" و"راديو رصيف" وغيرها من النعوت التي لم تكن لتطلق عليه لو لم يكن له تأثير على دعاية المحتل[15]، وقد أدت الغرض وسدت الفراغ قبل أن تنشأ وسائل إعلام حديثة مسموعة ومكتوبة تؤدي دور الإعلام الحقيقي وتحقق أهدافه بداية من بيان أول نوفمبر، وعرفت عدة تطورات وبخاصة بعد مؤتمر الصومام 20أوت 1956 حيث أصبحت للثورة إستراتيجية إعلامية لها أهداف يمكن تلخيصها فيما يلي:

01 –مواجهة الدعاية الفرنسية والرد على إدعاءاتها.

02–توضيح صورة وأهداف الثورة الجزائرية للرأي العام العالمي، والرأي العام الجزائري والفرنسي.

03–إبراز تمايز الشعب والشخصية الجزائرية عن الفرنسية.

04–إطلاع الشعب الجزائري على طبيعة الصراع مع الاحتلال وتطوراته.

05– إبراز حقيقة سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

06–تعزيز الاتصال والترابط بين مختلف مناطق الثورة .

ثانيا–ظهور وسائل إعلام الثورة الجزائرية المكتوبة:

رغم اعتماد الثورة الجزائرية على المشافهة والإذاعة كوسائل لإيصال المعلومة إلى الشعب والمجاهدين، إلا أنها أدركت كما أسلفنا أهمية الوسائل المكتوبة لأنها حسب وجهة نظري المتواضعة وسائل يمكن أن تتحول إلى وسيلة شفهية يطلع عليها شخص ويخبر آخرين به، وتكمن أهمية الوسائل المكتوبة في أنها تحفظ تلك المعلومات أو التعليمات أو الأخبار وتسرع عملية انتقال المعلومة، رغم أنها أقل أمنا من المشافهة كونها يمكن أن تقع بين يدي المحتل فتكشف تعاطف الشخص مع الثورة، إضافة إلى كون ما وصلنا منها يمثل إحدى أهم وأثمن الوثائق.

وعندما نتحدث عن الوسائل المكتوبة، يتبادر لذهن القارئ مباشرة صحيفتي المجاهد والمقاومة الناطقتين باسم الثورة، ولكن قبل التطرق لها ينبغي الإشارة إلى أن الثورة استعملت المناشير والبيانات التي يسهل تناولها على نطاق واسع، ويسهل نشرها دون كشف المصدر ،كما يمكن تداولها في المقاهي وإلصاقها في أزقة وشوارع المدن والمداشر الكبرى[16].

وبعد مؤتمر الصومام اتضحت معالم الإستراتيجية الإعلامية، وأضحت أكثر تنظيما وتطورا؛ فقد كانت الثورة تصدر نشرات إعلامية خاصة بالولايات التاريخية، وأخرى خاصة بوزارة الأخبار، فالولاية الأولى أصدرت نشرة بعنوان "الوطن"، والولاية الثانية نشرة بعنوان "الجبل"، أما الثالثة فنشرتها عنونت بـ: "النهضة"، والولاية الرابعة بـ"حرب العصابات"، والولاية الخامسة بـ "صدى التيطري"[17]، والولاية السادسة "صدى الجبل"[18]، و كانت هذه النشرات تصدر باللغة العربية والفرنسية وتوزع عبر المدن الجزائرية. أما نشرات وزارة الأخبار، فكانت نصف شهرية وتصدر باللغتين العربية والفرنسية صدرت منها ثلاث أعداد فقط في سنة1960 وتوقفت، وتوزيعها كان محدودا وتصدر في مناسبات سياسية بغرض توضيح وجهة النظر الجزائرية على سبيل المثال لا الحصر انعقاد المؤتمر الإفريقي الثاني للشعوب الإفريقية مطلع سنة1960[19].

وما يلاحظ على كل النشريات أنها تهدف إلى إبراز كل خلفيات القضية التي تسلط عليها الضوء، وتبرز أهداف الاحتلال الفرنسي الخفية والعلنية،كما لا تتردد في توجيه نداءات دعم لصالح مواقف الثورة الجزائرية، كما فعلت مع العديد من الدول الإفريقية والعربية خاصة، وأيضا يلاحظ أن الوعي كان كبيرا من طرف قيادة الثورة بأهمية سلاح الإعلام حيث لا يمكنها قيادة المعركة ولا خوضها بدونه.

ثالثا–نشأة جريدة المجاهد ودورها :

تُعرف جريدة المجاهد في تاريخنا بأنها لسان حال جبهة التحرير الوطني، إلا أنها لم تكن الجريدة الأولى التي حملت هذا الشعار، وإنما سبقتها جريدة المقاومة التي صدر منها ثلاثة أعداد فقط لتخلفها المجاهد التي تعتبر تطويرا للصحافة المكتوبة وتنظيما لها.

وكانت المقاومة تصدر في ثلاث طبعات مختلفة عن بعضها البعض لا تناسق بينها رغم أن هدفها واحد ولها عنوان واحد، لصعوبة الظروف التي كانت تحيط بالثورة الجزائرية عموما مطلع سنة1956، فطبعة المغرب تختلف عن طبعة تونس، وكذلك الأمر بالنسبة لطبعة فرنسا إلى درجة التناقض في بعض الأحيان ما جعل هذه الصحيفة –أي المقاومة– ضعيفة، وهو ما تداركته الثورة في مؤتمر الصومام الذي وضع بالحسبان الإستراتيجية الإعلامية للثورة حيث أعادت القيادة التفكير في تفعيل وتنظيم الصحيفة الناطقة باسمها[20].

وبالفعل؛ فقد ظهرت جريدة المجاهد كإجراء عملي لهذه الإستراتيجية، وكان مركز صدورها بحي القصبة بالجزائر العاصمة حيث صدر أول عدد في منتصف شهر جوان من سنة1956، وعرفت المجاهد ثلاث مراحل حسب مكان الصدور: أولا المرحلة الجزائرية وثانيا المرحلة المغربية وثالثا المرحلة التونسية[21].

وقبل الحديث عن هذه المراحل واحدة تلو الأخرى، قد يلفت انتباه القارئ الاختيار الموفق للعنوان الذي تحمله الجريدة التي ستبرز وجهات نظر الثورة الجزائرية، وقد دافع المؤسسون عن اختيارهم هذا في افتتاحية العدد الأول من جريدة المجاهد ‹‹***..ولعل البعض سيستغربون ولا شك من وقوع الاختيار على هذا العنوان الذي ربما أثار في ذاكرتهم معنى قد يحوم حول عصبية سياسية ما أو بعض التعصبات الدينية، في حين أننا نرمي إلى التحرر من أغلال الاستعمار الذي يحارب بطبيعته كل قومية، وإلى إقامة نظام الديمقراطية والمساواة بين كل الجزائريين بدون تمييز ديني أو عنصري...***››[22].

وصدرت الأعداد الأولى للمجاهد في مرحلتها الأولى التي تعرف بالمرحلة الجزائرية، إذ كانت تصدر من حي القصبة بالجزائر العاصمة، واستمرت هذه المرحلة إلى مطلع سنة 1957 إثر اكتشافها من قبل الاحتلال الفرنسي خلال معركة الجزائر، وكان قد صدر منها سبعة أعداد ضاع منها اثنان: الخامس والسادس، واكتشفت المجاهد وعددها السابع قيد الطبع فأتلفه الاحتلال[23]، لتبدأ المرحلة المغربية حيث انتقلت المجاهد إلى مقر صحيفة المقاومة في مدينة تيطوان المغربية بعد أن توقفت مدة ثمانية أشهر، ولم تدم هذه المرحلة طويلا حيث استمرت من جانفي إلى أوت 1957م،[24] وصدر خلالها ثلاثة أعداد فقط من العدد السابع إلى العدد التاسع وأصبحت الناطق الوحيد باسم الثورة الجزائرية، وقد قامت المجاهد بنشر هذا القرار[25] ، لتنتقل بعدها إلى الصدور من الأراضي التونسية وهي المرحلة الأطول والتي تمتد من الفاتح نوفمبر 1957م إلى غاية استرجاع الجزائر سيادتها[26]، وعموما فإنه كان للمجاهد تأثير كبير منذ المرحلة الجزائرية وباللغتين العربية والفرنسية حيث يذكر المجاهدون أنها ظهرت في تونس، وقد كانت تأتي من عدة مدن كقسنطينة ووهران والعاصمة[27].

لكن المجاهد عرفت استقرارا نوعيا في مرحلة الصدور من تونس حيث تحسنت طبعاتها وبوبت، وأصبحت بحق الواجهة الإعلامية التي يمكن للثورة أن تعتمد عليها في ردها على إدعاءات الاحتلال الفرنسي بكل الوسائل المتاحة وفق إستراتيجية مدروسة، كما حللها الأستاذ أحمد حمدي في دراسته للإعلام الثوري حيث احتوت على ما يلي:

- صدر من المجاهد مائة وعشرين(120) فقد منها أربعة.
- حملت في طياتها مائة وأربعة عشر (114) افتتاحية.
- مجموع مقالاتها مائتين وتسعة (209) مقال.
- عدد التقارير بلغ مائتين وثلاثة وسبعين(273) تقريرا صحفيا.
- تحتوي على مائة وأربعة وخمسين (154) دراسة.

حاولت المجاهد من خلالها الإحاطة بكل قضايا النزاع الحساسة مع المحتل ومارست مهام الدعاية والدعاية المضادة، وسلطت الضوء على قضايا الخلاف من مختلف الزوايا .

رابعا– اهتمام المجاهد بإبراز قضايا النزاع مع الاحتلال في الصحراء الجزائرية:

أدرك قادة الثورة أن إعلامهم بإمكانه التأثير في الرأي العام العالمي، وأيضا في الرأي العام الفرنسي الذي أصبح بفعلها يطرح العديد من التساؤلات الخاصة بالقضية الجزائرية، وبما أن قضية فصل الصحراء الجزائرية من أبرز القضايا الشائكة بين الطرفين، ومع تركيز الاحتلال على الجزء الجنوبي من الجزائر بعد فشله في إخماد الثورة، أخذ يروج لأطروحات جديدة تخدم مصالحه ومشاريعه في الصحراء الجزائرية بحملة دعائية هدفها مغالطة الرأي العام العالمي والفرنسي والجزائري، حتى وإن لم تكن تضع لهذا الأخير نفس الاعتبارات إلا أنه كان عرضة للتضليل الفرنسي، فكان على المجاهد أن تقوم بدورها والرد[28]، حيث كانت كبرى الصحف العالمية الإنجليزية والفرنسية والأمريكية تقتبس منها وجهة نظر الثورة في القضايا المختلف حولها وخاصة من إفتتاحيتها[29]، وهو ما استغلته المجاهد لتؤدي دورها الدعائي والدعائي المضاد خاصة في ملف الصحراء الآنف ذكره، الذي ازداد تعقيدا بتولي دوغول[30] مقاليد الحكم حيث سعى للترويج لمشاريعه في الصحراء الجزائرية وجعل الفرنسيين يؤمنون بضرورة تحقيقها أكثر من ذي قبل، والتعلق بالثروات المكتشفة وبالتالي ضرورة الحفاظ على هذه المستعمرة بكل الوسائل المتاحة[31] .

وإن كانت جذور فكرة فصل الصحراء تعود إلى مطلع سنة 1957م ببدء الاحتلال الفرنسي بالقيام بإجراءات عملية لتنفيذ مخططها بإنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بتاريخ10 جانفي 1957، فإن المجاهد لم تتخلف عن إبراز هذا المخطط الخطير على مستقبل الجزائر وكشف جذوره التي تعود حسب المجاهد إلى ما قبل إنشاء المنظمة المشتركة ذات الصبغة الاقتصادية، حيث سلطت الضوء على القضية في عددها الثامن والتسعين تحت عنوان:"**أهداف الاستعمار في الصحراء**" كاشفة كل تفاصيل القضية بكل جوانبها وأهدافها[32] ،و أبرزت المجاهد أن هذه المنظمة ما هي إلا تحصيل حاصل لإجراءات سابقة كمكتب البحوث المنجمية، ومكتب التفتيش عن البترول،

والمكتب الصناعي الإفريقي، وحسب المجاهد فإن الاحتلال بدأ يغير نهجه من الاستعمار القديم إلى الحديث الذي يدور جوهره حول التمسك بالثروة الاقتصادية، وهو تحليل دقيق وواقعي من قبل الجريدة التي كانت حينها تؤدي دورها المناط بها في هذه المرحلة بدقة متناهية، مبرزة الأمر في عددها التاسع والثمانين تحت عنوان: **"مؤامرة الاستعمار على صحرائنا"**[33].

ومثال آخر يدل على الفهم العميق للقضية، إذ أنه بعد تطوير فرنسا لمشروعها وأنشأت المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، التي يهيمن على تسييرها فرنسيون مشكلين طاقما إداريا منسقا يجمع دعم عدة وزارات كلها تعنى بالشؤون الاقتصادية، أو لها علاقة بالشؤون العسكرية وشؤون المستعمرات يضاف إليهم أعضاء من صحاري الدول المعنية بما أن المنظمة المشتركة لا تضم فقط مناطق صحراء الجزائر وإنما كذلك إلى جانبها صحراء موريتانيا والنيجر ومالي وتشاد وأغلبية هؤلاء الأعضاء من مناطق صحراء الجزائر[34] فكانت نظرة المجاهد لخلفيات هذه القضية في غاية الدقة وتدل على مستواها ومكانتها في المعركة الإعلامية بنظرة واقعية وتحليل منطقي لما يجري، حيث أبرزت الهدف الحقيقي من كل هذا في عددها المائة بعنوان:**"نحن والصحراء والبلاد المجاورة لنا"** يستحق منا التمعن في قراءته إذ تقول فيه المجاهد:***«...التقاء سيادات إفريقية متعددة في منطقة يحاول الاستعمار جعلها أداة فصل بدل أن تكون أداة وصل بين الأقطار سينشأ عنه من الخلافات والمشاكل بين البلاد الإفريقية ما يسد في وجهها نهائيا طريق الوحدة الصحيحة والتعاون المثمر لرفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي...»***[35].

يكفي القول انطلاقا من الأمثلة الآنف ذكرها أن المجاهد كانت تقوم بدورها في الرد على ادعاءات الاحتلال الفرنسي من بداياتها إلى غاية إعلان وقف إطلاق النار، فلم تتوقف عن أداء مهامها ولم تمرر أي إدعاء فيما يخص القضية إلا وأبرزته ويكفينا العودة إلى عددها الثالث والتسعين الذي يكشف عن الخطوط العريضة للمخططات الفرنسية في الصحراء بعنوان: **"الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دوغول"**[36]

خامسا–قراءة في محتوى النداء الموجه إلى أبناء الهقار ودلالاته:

إن جريدة المجاهد مليئة بالأمثلة التي تدلنا على حجم المعركة الإعلامية التي كانت تخوضها، كما تدلنا على ضرورة وجود إعلام للثورة الجزائرية، وبالعودة إلى صفحاتها يجتذبك من بين طياتها ذلك النداء الوارد في العدد الثلاثين للاعتبارات التالية:

01–تاريخ صدوره (سنة1958م) الذي لم تظهر فيه بعد مشاريع موجهة خصيصا وعلنا للمنطقة المذكورة في العنوان، كما سيحدث بداية من سنة 1959م وبمختلف الأشكال والدواعي بحثا عن الشرعية التي تخول للاحتلال المضي في مخططه قدما.

02–يبرز نوعا آخر من الإستراتيجيات الإعلامية حيث لم تكتف المجاهد بالرد على إدعاءات الاحتلال فيما يخص قضايا الصحراء الجزائرية بل حاولت إشراك الفاعلين فيها وجعلهم يشاركون في المعركة إلى جانبها.

03– أهمية صدور هذا النداء في إطاره الزماني الذي يجعل المتتبع للأحداث يدرك أن قيادة الثورة كانت واعية بما يحصل في كل جزء من تراب الوطن، حتى قبل ظهور مشاريع الاحتلال ونظرياته التي تستهدف المنطقة، والتي يثبت التاريخ بروزها علنا سنوات 1959م و1960م و1961م مما يدل على القراءة السليمة للأحداث.

04–إدراك المجاهد لحس الجماعة وصوت القبيلة الواحد، واجتماعها وراء قرار واحد، واحتفاظ النظام القبلي إلى هذه الفترة من الزمن بمكانته في مناطق التوارق وفاعليته رغم حالة عدم التمييز بين إقليمي الهقار وآجر، فالهقار تعني حاليا تامنغست ونواحيها، وآجر تعني مناطق جانت وإليزي ونواحيهما ولكن إمكانيات وظروف المعركة لم تسمح بهذا التدقيق فقد كانت الفئة المستهدفة من الجزائريين هي التوارق .

ومن هذه الاعتبارات التي استنتجتها، ورغم الملاحظة الأخيرة المذكورة آنفا والتي لا تنقص من قيمته كما سنرى، ومن خلال إطلاعي على هذا النداء الذي أعتبره وثيقة من وثائق تاريخنا المعاصر نظرا للأهمية التي استقاها هذا النداء من عمق هذا المجتمع الجزائري وعُنونَ بـ:" **إلى أبناء الهقار جنوب الصحراء**"[37]، فإن له دلالة على المكان وأهله المعنيين بالرسالة الموجهة، وقد استهل النداء بعبارة ***«...أيها التوارق الأحرار منكم وإليكم***

أوجه هذا النداء...»[38] هي نفسها الطريقة التي استهل بها بيان أول نوفمبر 1954 بمباشرته بمخاطبة الفئة المعنية وهي الشعب الجزائري[39]، ثم بعد التخصيص وردت عبارات في النداء تدل على أن كل المناطق الصحراوية معنية به رغم تخصيصه لمنطقة الهقار، فبعدما بدأ النداء بعبارة: « ***أيها التوارق*** » وردت بعدها عبارة «***...أيها الإخوة في جنوب العاصمة...»***ما يدل على المناطق الصحراوية الأخرى[40].

وبما أن للاحتلال الفرنسي تجربة طويلة مع النظام القبلي في الجزائر، من خلال دراسته كل مكونات المجتمع الجزائري وتركيبته بدقة فهو يعرف جيدا مميزات وعادات وعلاقات الأسر الجزائرية[41] فقد عرف كيف ينشر الخلافات والتفرقة فيه، وأدرك ضرورة إقناع سكان المنطقة وتضليلهم أو السيطرة عليهم لتنفيذ المخططات، ولمعرفة الاحتلال الفرنسي بأن النظام القبلي عند التوارق تؤثر فيه شخصية أمانوكال[42] الذي يمثل السلطة التقليدية، والذي تجتمع القبائل وراء رأيه في كل قضاياها[43] فقد ركزت كل مخططاتها حول هذه الشخصية المحورية في نظام قبائل التوارق، ووجهت كل مشاريع الإغراء نحوها لتجد سلطات الاحتلال الشرعية لنفسها للتصرف في هذا الحيز الجغرافي والتي كانت تفتقدها رغم قوتها، وخاصة مع استمرار انتشار الثورة، فتفطنت الثورة للأمر ووقفت في وجه كل المحاولات الفرنسية[44] وحتى قيادة الثورة كانت تدرك أهمية هذا النظام القبلي حيث يقر جغابة محمد[45] بأن باي آخموك[46] لما جاء هذا الرجل إلى تامنغست سنة 1956م لتنصيب خلايا جبهة التحرير الوطني التي كلفه بها السي الحواس احتضن باي زيارته واجتماعاته السرية[47] كان له الأثر الكبير وسارت وفقه قبائل التوارق في منطقة الهقار[48].

ثم غاص النداء مباشرة في أهم قضية يريد الاحتلال الفرنسي تحقيقها، وهي تقسيم الجزائر على أساس شمال وجنوب وسلط عليها الضوء «***...إن المستعمر الفرنسي يريد أن يفرق جزائرنا قسمين ،جنوبا وشمالا...»***[49] ،إن بدايته بإبراز الغاية وهي التقسيم ثم شرح التفاصيل فيما سيلي لهو أقرب وأحسن لإيصال الرسالة حيث يفهم القارئ الغاية المعنية جيدا، مؤكدا من خلال هذا النداء الذي جاء بصيغة ذكية جدا على لسان أحد التوارق

يخاطب إخوانه حيث يواصل مؤكدا أن هذه هي غاية الاحتلال وسيسعى بكل ما يملكه من وسائل لتحقيقها، وكأنه يريد أن يقول كونوا على وعي بخلفيات كل هذا، فإن هذا كله من تدبير المحتل الذي أنتج وسوق هذه النظريات.

ثم عاد في النداء إلى الدعوة إلى الوحدة والتأكيد على أنها الإطار الأمثل الذي من خلالها يتحقق النصر على الاحتلال الفرنسي حين قال: ‹‹... ***يفضل تضامننا إتحادنا وكفاحنا على صعيد واحد بالجنوب والشمال تحت راية الجزائر المظفرة...***››[50] ،و لعل من أهم الأشياء التي يشير إليها النداء هو إبراز الدافع الأساسي للاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية وهو البترول، فلهذا راحت تخطط لعزل المناطق التي تشك في وجوده فيها، مؤكدا على أن الثورة لن تدع للاحتلال مجالا لذلك، مع تحذير التوارق من دهاء المحتل ودعوتهم لتشديد الخناق عليه، خاتما بالتأكيد على مواصلة الثورة الجزائرية إستراتيجيتها في هذه المناطق وأنها لن تدع الاحتلال الفرنسي يستفرد بها.

وختاما لا يمكنني في هذه الأسطر المعدودة أن أحصر كل جوانب الموضوع ولكن ما يمكنني قوله هو أن هذا النداء من أبرز الوثائق الإعلامية التي أنتجتها الثورة الجزائرية في مرحلة الكفاح في سبيل استرجاع السيادة الوطنية، ها نحن نعيد قراءتها ودراستها في سياقها التاريخي والمنهج الإعلامي الذي كانت تدخل ضمنه بعد مرور أكثر من خمسين سنة على تحقيق الثورة الجزائرية هدفها، فكلما قرأته زادت الأفكار التي تستنبطها منه تأكد حقيقة وجود الإستراتيجية الإعلامية المضادة لإستراتيجية إعلام المحتل، وتشمل تسليط الضوء على القضايا التي تهم كل المناطق الجزائرية وهذه ورقة من أوراقه.

الهوامش :

1 – البجاوي محمد، **الثورة الجزائرية والقانون 1960–1961**،دار الرائد، الجزائر ،2005، ص297.

2 – نفسه ،ص297.

3 – جريدة المجاهد،عدد30،الصادر في 10أكتوبر 1958،ص3.

4 – بيان أول نوفمبر 1954.

[5] – **محمد بوضياف:** ولد سنة1919بالمسيلةناضل في حزب الشعب بجيجل وقسنطينة من مؤسسي المنظمة الخاصة حيث كان مكلفا بناحية سطيف نجى من الاعتقال إثر اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950عين في اتحادية الحزب في فرنسا ،عاد للجزائر وشكل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس1954،عين منسقا وطنيا في اجتماع الاثنين والعشرين التاريخي غادر الجزائر بتاريخ 26أكتوبر 1954و التحق بالوفد الخارجي للثورة للمزيد أنظر محمد بوضياف ،**التحضير لأول نوفمبر1954**،تقديم عيسى بوضياف،دار النعمان ،الجزائر ،2011،ط2 ،ص129-130.

[6] – **محمد خيضر: ولد سنة** 1921 بالجزائر العاصمة ،قضى أربع سنوات في الخدمة العسكرية سنة1941 التحق بحزب الشعب سنة1945، شارك في عملية بريد وهران التي نفذتها المنظمة الخاصة في أفريل 1949،القي عليه القبض سنة 1955 بسبب انضمامه للثورة سنة1954 وبقي مسجونا منذ ذلك الوقت إلى غاية الاستقلال للمزيد أنظر،عبد المجيد رمضان ،**ثوار الجزائر**،دار نزهة الألباب، الجزائر ،2004،ص65.

[7] – **أحمد بن بلة:**ولد في 25ديسمبر 1918 بمغنية المنظمة الخاصة بعد كل من، تولى قيادة المنظمة الخاصة بعد كل من محمد بلوزداد وحسين أيت أحمد، اعتقال سنة 1950 إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وتمكن من الفرار من السجن في 16مارس 1952 ليتنقل إلى القاهرة والعمل من هناك بالتنسيق مع رفقائه في الجزائر على الحصول على شحنات من السلاح للإعداد للعمل المسلح ضد الاحتلال الفرنسي ،تعرض للاعتقال مرة أخرى إثر اختطاف طائرة الزعماء الخمسة بتاريخ 22 أكتوبر1956 ،أول رئيس للجزائر المستقلة بداية من 15سبتمبر1963،للمزيد أنظر، رمضان ،المرجع نفسه،ص56-57.

[8] – **حسين أيت أحمد:** ولد بتاريخ 20أوت 1926 بعين الحمام بتيزي وزو من مناضلي حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ومن مؤسسي المنظمة الخاصة التي تولى رئاستها لمدة بعد محمد بلوزداد حكم عليه بالسجن سنة 1950إثر اكتشاف المنظمة الخاصة والتحق بالقاهرة وكان ضمن بعثة الثور الخارجي، اعتقل إثر اختطاف طائرة الزعماء الخمسة، أسس حزب القوى الاشتراكية منذ 1963 للمزيد،أنظر رمضان ،المرجع نفسه،ص 66.

[9] – بوضياف، المصدر السابق،ص134-135.

[10] – أحمد حمدي ،**الثورة الجزائرية والإعلام**، وزارة الثقافة ،الجزائر،2008،ص77.

[11] – Frantz Fanon ,**Sociologie d'une révolution** ,Libraire François Maspero, Paris,1982,p70-71

[12] – رضا مالك: ولد سنة1931بباتنة حائز على شهادة عليا في الفلسفة بعد الدراسة في الجزائر وباريس، عضو مؤسس لإتحاد الطلاب المسلمين الجزائريين سنة1955،مدير لجريدة المجاهد من سنة 1957 إلى غاية 1962 عضو الوفد المفاوض في إيفيان وأحد محرري برنامج طرابلس 1962،شغل عدة مناصب بعد الاستقلال من سفير في عدة دول إلى وزير للمزيد أنظر، رضا مالك، **الجزائر في إيفيان–تاريخ المفاوضات السرية 1956–1962**،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر ،دار الفرابي، بيروت،2003،ط1،ص377.

[13] – أنظر شهادة رضا مالك في جزء الشهادات في: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، **الإعلام ومهامه أثناء الثورة**، دار القصبة، الجزائر ،2009،ص409.

[14] – عبد القادر نور، **شاهد على ميلاد صوت الجزائر ذكريات وحقائق**، منشورات الإذاعة الجزائرية، الجزائر، 2006، ص31-33.

[15] – حمدي ،المرجع السابق،ص82-83.

[16] – المركز الوطني د.ب.ح.و.ث.أ. ن، د.ت، المرجع السابق،ص409.

[17] – نفسه، ص 383.

[18] – أنظر شهادة شنوفي محمد(ضابط الولاية السادسة) في :المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية**، منشورات المركز الوطني د.ب.ح.و.ث.أ. ن، د.ت، ص227.

[19] – المركز الوطني د.ب.ح.و.ث.أ. ن،المرجع السابق،ص383-384.

[20] – المركز الوطني د.ب.ح.و.ث.أ. ن، **الإعلام ومهامه**، المرجع السابق،ص145-146.

[21] – حمدي ،المرجع السابق،ص147-148.

[22] – افتتاحية العدد الأول من جريدة المجاهد

[23] – المركز الوطني. د.ب.ح.و.ث.أ. ن، المرجع السابق،ص146.

[24] – حمدي ،المرجع السابق،ص148-149.

[25] – المركز الوطني. د.ب.ح.و.ث.أ. ن، المرجع السابق،ص147.

[26] – حمدي ،المرجع السابق،ص148.

[27] – أنظر شهادة عمار بن عودة في جزء الشهادات في: المركز الوطني، المرجع السابق، ص463.

[28] – حمدي ،المرجع السابق،ص 150-151.

[29] – نفسه،ص 147-151.

[30] – دوغول: ولد في مدينة ليل الفرنسية سنة 1890، في سنة 1908 اتجه للعمل في الجيش والتحق بمدرسة سان سير ،رقي إلى رتبة ملازم أول، شارك في الحرب العالمية الأولى وألقي عليه القبض من قبل الألمان وسجن، استدعي إلى مدرسة سان سير لتعليم التاريخ العسكري فيها أرسل إلى لبنان سنة 1929، ولما دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية كان ديغول من أبرز الشخصيات الفرنسية التي رفضت الاستسلام ومواصلة الحرب ضد ألمانيا؛ استطاع أن يفرض نفسه كرئيس لفرنسا الحرة بدعم من تشرشل منذ 7 أوت 1940 أنشأ المجلس الوطني للمقاومة وبعد أن تم النصر على النازية، عاد إلى فرنسا وبقي رئيساً للحكومة المؤقتة إلى أن استقالت، وابتعد بعد ذلك عن الحياة السياسية حتى سنة 1958 حين أسس الجمهورية الخامسة،أنظرعاشور شرفي ،**قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962**،دار القصبة ،الجزائر،2007، ص171-172.

[31] – شارل دوغول، **مذكرات الأمل- التجديد1958-1962**،ترجمة سموحي فوق العادة مراجعة أحمد عويدات ،منشورات عويدات،بيروت ،1971،ط1،ص49.

[32] – جريدة المجاهد،عدد98 ،الصادر في 19 جوان 1961.

[33] – جريدة المجاهد،عدد89 ،الصادر في 13 فيفري1961.

[34] – Claud Treyer,**Sahara1956-1962**, Les belles lettres,Paris, 1966,p48.

[35] – جريدة المجاهد،عدد100، الصادر في 17 جويلية 1961.

[36] – جريدة المجاهد،عدد93، الصادر في 10 أفريل 1961.

[37] – أنظر الملحق.

[38] – نفسه.

[39] – بيان أول نوفمبر.

[40] – أنظر الملحق.

[41] – Fanon,opcit, p83-106.

[42] – السيد أو شيخ البلد للمزيد من المعلومات عد إلى : مرموري حسن،**التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية بداية القرن العشرين** ،المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ،2010.

[43] – نفسه،ص49،ص411-412.

[44] – الهادي درواز، **العقيد شعباني الأمل والألم** ،دار هومة، الجزائر،2009،ص65-66.

[45] – جغابة محمد: ولد بتاريخ 05 نوفمبر 1935بولاية بسكرة وتلقى بها تعليمه الأول ،وتحصل على شهادة البكالوريا وتخرج من جامعة الجزائر بشهادة ليسانس في الحقوق، انضم إلى الثورة منذ وتلقى بها تعليمه الأول ،وتحصل على شهادة البكالوريا وتخرج من جامعة الجزائر بشهادة ليسانس في الحقوق، انضم إلى الثورة منذ انطلاقتها ومنحت له رتبة ضابط وعمره عشرين سنة 1955 عمل بالمنطقة الأولى وتم إلقاء القبض عليه وسجن في سجن مشرية وسجن بورزق وبعد إطلاق سراحه إنضم إلى قيادة الولاية السادسة أين ساهم في تنظيم ونشر الثورة أنظر، وزارة المجاهدين، **موسوعة أعلام الجزائر1954–1962**، منشورات المركز الوطني. د.ب.ح. و. ث. أ.ن، الجزائر،2007 ، ص320.

[46] – باي أخموك: هو إبن أمنوكال العاشر وكان طموحا لخلافته، وكان باي معتزا جدا بدوره وسلطته وعرف كيف يحيط نفسه بمستشارين نهرة وأذكياء والذين كانوا يجالسونه دائما خلال فترة حكمه، وأنتخب بعد الاستقلال نائبا بالمجلس الشعبي الوطني ،و عين أيضا نائبا لرئيس الجمعية الوطنية الجزائرية سنة1963و توفي سنة 1975،أنظر مرموري ،المرجع السابق،ص202-203.

[47] – جغابة محمد، **حوار مع الذات ومع الغير – تحديات الفضاء الفسيح والأزمنة المفتوحة**، دار هومة، الجزائر، 2007، ج 2، ص 212-213.

[48] – أنظر شهادة جغابة محمد في :عبد السلام بوشارب، **الهقار أمجاد وأنجاد**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،1995،ص132.

[49] – انظر الملحق.

[50] – نفسه .

الملحق: نص النداء الموجه إلى أبناء الهقار للوقوف في وجه المساومات

إلى أبناء الهقار في جنوب الصحراء

أيها التوارق الأحرار: منكم وإليكم أوجه هذا النداء.

أيها الإخوة في جنوب العاصمة عامة ،و في اجزر خاصة.

ألا فاعلموا بان المستعمر الفرنسي يريد أن يفرق جزائرنا قسمين ،جنوبا وشمالا. ويسعى لإبعادنا عن إخواننا الشماليين بالعاصمة الجزائرية العربية المناضلة. وان هذا لا يزيدنا إلا تضامنا واتحادا مع بعضنا البعض.

و ليس هناك تارقي ولا عربي في الجنوب ولا في الشمال، فالجزائر المكافحة وطن واحد لا يتجزأ مهما دبر المستعمر وقدر ومهما نصب لذلك من مكائد واتخذ من وسائل.

وأؤكد لكم أيها التوارق الأحرار–و لا ريب تعلمونه– انه لا وجود في قطرنا للخرافة الاستعمارية المزيفة مما تسميه من جنوب وشمال، فلا جنوب بدون شمال ولا شمال بدون جنوب. وهذه حقيقة بديهية يتجاهلها المستعمر لتفرقتنا.

ولكن بئس تدبيره. فها نحن اليوم جنبا لجنب مع إخواننا الشماليين، صفا واحدا بالصحراء الكبرى نكافح ضد المستعمر البغيض الذي لا ريب سيكون ماله الهزيمة والاندحار. سننتصر عليه–أيها الأمجاد–بفضل تضامننا واتحادنا وكفاحنا في صعيد واحد بالجنوب والشمال تحت راية الجزائر المجاهدة المظفرة.

و أما حلم المستعمر ببترولنا ..فلنؤكد لهذا المستعمر بان بترول الصحراء هو بترول الجزائر العربية، وسندافع عنه بجميع الوسائل ومهما كلفنا ذلك من تضحيات وعذاب ليتأكد المستعمر بأنه إنْ واصل تخديره للعالم في قضية بترولنا، فليتأكد بأننا قادرون على نسف جميع الأنابيب والمنشات الاستعمارية. وان هذه السنة ستكون بحول الله مباركة علينا وويلا على المستعمر.بفضل وحدتنا وكفاحنا أيها الأحرار.

أيها التوارق الأمجاد لتعلموا إن المعركة ستستمر وإننا سنحارب ونقاتل إلى آخر قطرة من دمنا لحماية قطرة واحدة من بترولنا...وللذود عن شبر واحد من تربتنا الطيبة الماجدة .
أيها التوارق-في الجبال وفي الصحراء في الوديان وفي الشعاب كونوا على حذر من المستعمر هذا الطاغية الذي قتل ومازال يقتل أولادكم وشيوخكم وينتهك حرمات نسائكم وبناتكم.
يا سكان الصحراء..شددوا الخناق على عدوكم وطاردوه في الجنوب والشمال حتى يلقي السلاح. هاهي عاصمة ازجر تبتديء كفاحها المجيد. وتناديكم بالاتحاد والعزم والصبر، والوقوف في وجه عدو الله وعدوكم. والله معكم .

عاش سكان الصحراء الأشاوس.

وعاشت الجزائر حرة مستقلة.

الشيخ احمدون كبير رؤساء التوارق.

المصدر:جريدة المجاهد ،عدد30 الصادر في 10 أكتوبر 1958،ص3.